

جنازية رَجُلِ المِلح

للتواصل مع المؤلف

مقر الإقامة الدائم: المملكة العربية السعودية

رقم جوال: 00966534833553

البريد الإلكتروني: a-obeat@hotmail.com

عنوان صفحتي بتويتر: @kternma

جنازية رجل الملح

شعر

عبدالله عبيد



الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الطبعة الأولى

1434 هـ - 2013 م

ردمك 978-614-01-0874-5

جميع الحقوق محفوظة

هاتف: + 96673174000

فاكس: + 96673175107

جازان - المملكة العربية السعودية



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم

هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (+961-1)

ص. ب: 13-5574 شوران - بيروت 1102-2050 - لبنان

فاكس: 786230 (+961-1) - البريد الإلكتروني: asp@asp. com. lb

الموقع على شبكة الإنترنت: <http://www. asp. com. lb>

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو بأية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل.

تصميم الغلاف: الفنان أنس عمار

التتضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف 785107 (+9611)

الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف 786233 (+9611)

الفـــــــــــــه رس

الإهداء.....٧

على الساحل ولا يملك طوق نجاة.....٩

في ما يشبهُ جسد الطفل.....١٧

قراءاتٌ في أغاني الطفل.....١٩

تجاعيدٌ في مرايا الطفل.....٢٤

سفر غامض.....٢٩

تنوعاتٌ في رحيل المتهمّي.....٣٢

جنائزيةٌ أخيرة للأرض.....٣٧

ذاكرة الرجل ذو الساق الواحدة.....٤٠

في الرؤيا.....٤٥

من لم يأتِ لم يذهب.....٤٦

مرآة الكائن.....٥٤

مقاطع ليلية للذئب المشنوق.....٥٨

سردياتٌ جسدٍ في الغياب.....٦٩

اختلاجات الهيكل في حضرة "هنري ميشو".....٧٢

٧٦	سأحلم كموجة.. سأنام كطفل
٨١	المنحنى
٨٣	في هجاء المسافة .. في هجاء الأرض
٨٧	مديح الحيّ
٨٩	سؤال
٩٢	غريزة الصقر .. عادة العصفور
٩٧	عندما الأصدقاء
١٠١	أسرى الريح
١٠٣	مرثية لجسد الحب
١٠٦	الهروب من الجسد
١٠٩	الفتاة إذ كانت
١١٢	جسد
١١٩	التباس في النشيد
١٢٣	أشجار الرغبة
١٢٧	ورقة
١٢٩	تواصل

الإهداء..

إلى سيد الليل.. أبي

لولاك لما كان للغريب اسم آخر !

إلى شمعتي الأبدية.. أُمي

لولا اشتعالكِ لا فترستني العتمة!

إلى وجهي الآخر.. أخي

لولا مجيئك.. لكنتُ وحيدًا الآن !

على السَّاحِلِ، ولا يَمْلِكُ
طوقَ نَجاةٍ..!

(1)

الآن وبعد أن انعدمت المسافة بين الخياليّ و الواقعيّ وبعد أن أصبح الأرضيّ مسكوناً بهاجس السماويّ و إلى درجة التقمص ربما، ماذا تبقى على الشعر أن يؤديه؟ وأي قناع يجب أن يختاره في هذه الحفلة التنكّريّة ؟

فماذا إن فضّل السّير عارياً ؟

إن اختصار التّجارب والتّحوّلات النّفسية للكائن و وضعها في قوالب معدة سلفاً وتسميتها بالشعر لهي أقسى الجرائم وحشية بحق الشعر، ثم من الذي يضع هذه القوالب ويوزع مثل هذه الصكوك، إنني لا أستطيع أن أفهم تصور الشاعر للحالة الفنية التي ستنصهر عليها تجربته بينما أتفهم ذلك الوعي بالبناء المتقن والمعمار الفاتن للنص، فمنذ متى كان يمكن لنا أن نحاصر العاصفة ؟ أو أن نأمر المطر بأن يتوقف ؟

إنني لا أعرف حالة إبداعية على مرّ التاريخ لم يغب صاحبها
فيها أو لم يسلم نفسه فيها للمجهول ، فإن كانت لحظة
الشعر هي اللحظة الوحيدة التي تمكّنتنا من الذهاب بعيداً دون
رغبة في الوصول، دون رغبة في العودة، والاستغراق في الغيبوبة
فعلى ماذا نراهن غير الشعر ؟

(2)

إن الذين يلوموننا على الإفراط في المجاز والمراوغة في المعنى لم
يعرفوا أبداً ما يعنيه أن يختنق الماء في النبع ، إن تدفق الماء
بهذه الطريقة الفجة تعني نفاده تماماً وإلى الأبد، ثم كيف لنا
أن نتخلى عن المجاز وهماهي المدى تستلقي على الأعناق، و
المشائق منصوبة على الأرصفة ؟ وإن كانت اللغة هي أيضاً
تراوَعُنَا وتوقعنا مراراً في شراكها ، فألا يحقُّ لنا أن نقاوم
الخديعة بالخديعة ، والفخاخ بالفخاخ ؟

إن الشاعر الحقيقي أشبه بالطفل ،تلمسه للوردة وسؤاله عن
السماء يشبه تماماً دهشة السؤال لدى الطفل . لا يوجد شعراً
حقيقي وقَفَ يوماً على أرض يقينية ، كل التجارب التي خلّدت
اسمها كانت قلقة حتى في مراحلها المتقدمة . ثم ما هي التجربة؟
إلا تلك التفاصيل التي اختلطت فيها العوالم لدى الشاعر و
انتهكت فيها الحدود وهذا كله لا يحدث إلا في عوالم
خاصة جداً ، حيث تكمن الفتنة والدهشة في أنه لا أحد
يستطيع معرفة واقعيتها وهذا إن افترضنا أنها قامت على معطيات
واقعٍ ما . لقد مضى زمن البكائيات كثيراً و ليس من المعقول
أن نقيس التجارب بمقدار تحريكها للوتر الأخير وتجاهل العبقرية
الفنية لها . إن معنى الشعرية الحديثة أو ما يفترضه الواقع من طريقة
للكتابة أراه يشبه الحرب الباردة، حيث على الشاعر الهروب من
جحيم الواقع والدخول في فردوس المخيلة، أو تفادي كلاليب
الجحيم و الحصول على ملذّات الفردوس .

(3)

لا يمكن للنص الإبداعي أن يكون كذلك إلا إذا كان مغايراً
للمألوف وهادماً لكل الأنساق، لا يمكنني أن أتخيل نصاً إبداعياً
خاضعاً لرقيب أو لشرط ما.. حتى شرط اللغة ينكسر أحياناً
بحسب الضرورة الفنية وما تقتضيه طبيعة التجربة.

(4)

ماذا أقول...؟

هل استطاعت السفينة أن تصل إلى الشاطئ؟

أو هل رأت الساحل أصلاً؟

إن من يظن أنه قد يصل إلى الساحل فسيكون مبالغاً في الوهم
فها هي السفن التي أبحرت لم تصل ولم تعد إلى الآن وها هم من
كانوا على ظهرها وكأنهم لم يبرحوا مكانهم ، وكأنهم لم يبحروا !
نفس الوجد .. وذات التيه فهل للأمواج أن تنبت جزيرة تنهي
هذا الألم ؟!!!

" ثَمَّة مَوْتِي يَدِيرُونَ الْحَيَاةَ
وَيَسْتَحِيلُ قَتْلَهُمْ..!"

فِيدِيل كَاسْتَرُو

في ما يشبه جسد
الطفل

قراءاتٌ في أغاني الطفل..

مرتبكاً..

هو ذا الطحلب يخرج

من رئة الوقت

طيور النهر تصقُّ

يكشف عورته العشب

لسرِّب النملِ

(أسمِّي المشهد في لغتي: بلدي)

تركلني رغبتني الخرساء

إلى عتبات الصوت فيورق شكي ..!

صدأً يتوغلُّ في

أعمدة الريحِ

(أصيحُ بكل حروف الجسدِ)

أتخيّلُ لو أنّي مومياءُ

ينطِقُ .. يُطِرُقُ للظلِّ

المسفوح على الطرقات

المنسيّة ، لي نعل الشيطانِ

(ولي خيلٌ تركضُ للأبدِ)

في العظمِ يرُنُّ الجرسُ الأوَّلُ
تُفْتَحُ أبوابُ الذاكرةِ الميِّتَةِ
تستيقظُ رائحةُ البنِّ الجبليِّ
يقول الشيخُ الأذرْدُ:

(في العظمِ يرُنُّ الجرسُ)

تتحركُ ساعتي الرمليةُ
أنظرُ للشمسِ
يطولُ نهاري

أشهر سيفي للزمن القادم
في السرّ و أنزع أقنعة العتمة
(من جلدي هذا الضوء سينبجسُ)

تنكسر الفضّة في الفضّة
فأريقُ الكأسَ وأسألُ :
أيُّ النّار ستحرّقُ قومي؟
(من أيّ النار سأقتبسُ)

تجاعد في مرايا الطفل

المساءات لم تتوقف
و وجه المدينة يبدو كثيراً
تخطُّ النُسور على الأرضِ
ذاكرةٌ يتداخل فيها الزمان الـ ماضى
والزمان الذي سيجيُّ من العتَماتِ ،
أحضرَّ جُمَيَّةً للرفاق /
أحضرَّ جُنَّازيَ الآن
حيُّ هو الموتُ ، صُبُّوا له عرق الوقتِ
قبل النبذِ وقولوا له :
جُنَّةٌ تتقلَّبُ عند استواء الحياةِ
فكيفَ نقولُ لشيخ النُسور : تَعَفَّفْ ؟

المساءثُ لم تتوقّف

دمي نُهرٌ .. غمّسوا الوطنَ

الوهمَ فيه

فبين دمائي تنام الضحايا

سأنصب فوق العظام صليباً

وأفرش فيه بلاداً على هيئة الخبز

يا جسداً من رذاذ التارّجح

يا وطناً بلّته الخرافة.. لا تتجفّف

فإنّ المساءات لن تتوقّف

الحماماتُ جوعى وطيركَ أنتَ تُقَصُّ جناحاهُ..!

ملعونَةُ هذه الريحُ يَنْطَفِئُ الصوتُ

حينَ يَمُرُّ بها

ثلجةُ هذه الريحُ يَنْطَفِئُ الحلمُ

حينَ تَبْجُجُ مفاصلُهُ

رايةُ للجحيمِ وتاجُ من

البرقِ يهوي على الأرضِ

حيرةُ من آمنوا بالسماءِ

وصلُّوا على النهرِ حينَ تلْعَثُ

بالكائناتِ .. تغورُ،

فيلتفُ وحشُ التواريخ،
ذاك المرقطُ بالقهر و اللعنة الأزلية
إني أراه أمام المغارة يكشفُ عن مقلبٍ من جنونٍ
يجزبشُ صخرة أحلامنا،
ثمَّ كيف سنحلم لو كُسرَتْ صخرة
الحلم قبل انبجاس الحقيقة؟؟
.. قال الرفاق:

هم قليلون.. أنت كثيرٌ
فإن غادروك فدننن بأغنيةٍ لست تحفظها
فالمساءاتُ لن تتوقف!

سفرِ غامض

متمسكٌ بجنون بوصلتي
جهاقي لا تؤدّي للطريقَ
إلى السماء بلا
جنونُ

وجهٌ دميمٌ ، لوحةٌ سوداء
أحملُها ، و أحملُ في يدي
وطناً من الأشواك معظمه
سُجُونُ

لغتي مكمّمةٌ بشال الخوف
أرغمها فتأبى أن تقول !
وتستوي شيئاً ينزُّ من
العيون

سفري إلى المعنى بلا معنى
ودربي طاعنٌ في اليأسِ
يختزلُ المسافةَ بالظنونَ

تنويعاتٌ في رحيل المُتَهَيِّئِ

عندما قلتَ لي:

أَنَّ ماءَ الحياةِ ترمَدَ في جسد الأرضِ
كادتْ طيور الفجيرة تخرج من شفئك
وكادتْ جهاتك أن تستحيل هباءً،
مضيتَ وخلّفتَ خلفك
ذاكرةً - خرجتَ من يقين
التوجس - حائرةً
أسكتَ الموت صرختها

حينما انفرطتُ سُبحَاتُ الوصايا
تلفَّتُ حولي أنادي عليك ، و أسأل عنك
الرفاق - بقايا الرفاق -

ترى أين أنت ؟
تذكرتُ..

يوم مجيئك خلف ستارٍ من الوهم كنت تخبئ برقاً
و كانت شرارات عينيك تنبي بأنّ الشمس
التي أثقل العمر هيكلها قد تموت..!
وأنّ الصباح الذي لم يعد مثل ذاك الصباح
يموت..!

وَأَنَّ الطَّقُوسَ الَّتِي اخْتَصَرْتَنَا

بِرَقْصَةِ لَيْلٍ

وَرَعِشَةِ حُلُمٍ..

تَمُوتُ

عندما قلت لي...

لم تلاحظ بأنّ ضريحاً من الطين

يرفل خلفك قد يتحجّر

لم تلاحظ بأنّ بحاراً من الضوء

في صخرة الليل قد تتكسّر

كان وجهك ممتعاً ويداك تلوح
للعابرين على الدّم حين تحول جذع السنين إلى
حفنة من رماد توارىخنا و تعاريج مرمز
كان يبدو عليك الدهول
ويبدو عليّ الجنون فصحت عليك:
تمثّل !

ودعني أحّدق فيك فقد
يجمع الوهم كلّ المبعثر .

جنائزية أخيرة للأرض..!

انتهى الوقت ..

لم تعد اللحظة الحجرية في الجبل الواقف الآن ما بيننا
هاهو البحر يخرج من قاعه هارباً

والقصيدة تأكلنا من جميع الجهات
أثمة وجهٌ سيَمْتَدُّ في حائط الشمس

غير البلاد التي ابتلعت ماءها ؟

مطرٌ يابسٌ في الضلوع ، و نورسةٌ علّقتْ جانحيها على الغيم

،لو أن برجاً من الكلمات السجينة

ينهار في ساحة الخلق ، لو أنّ أسئلة الغجر الذاهبين

إلى الريح تهتُرُ في الجذبِ

ما نسيَتْ في احتدام الفجيعة أسماءها

مدنٌ تتزَمَلُ بالخوف ، هذي دماء الذين قضاوا
في الطريق، وذوي جهة الوطن الخائف الآن تجهشُ بالموت ..
والموت !

كيفُ يمرُّ الغزاةُ الأنيقونَ من بينها خفيةً ،
يجمعون مع الليل أشلاءها ؟

انتهى الوقت ..

قوس الحقيقة لم يستدر !!

والنهاية نفس البداية

قوس الحقيقة لم يستدر !!

سقط القمر العالق الآن في الأرض مغتسلا بالظلام الرهيب ،

ولم تعد الأرض تعرفُ أشياءها !!

ذاكرة الرجل ذو الساق الواحدة..!

فوق أبهةٍ أثقلتها النقوش
رأيتُ رؤوساً مثبَّتةً بعظام السلاحف
كانت دماء السماء تنزُّ
و أعمدةُ القهر غارقةً في الشتاء الكئيب

رأيتُ نعوشاً من الثلج تبحث عن
جثثٍ علقت في الزمان الذي لن يجيء
وعاصفةٌ نسيَتْ أن تهبَّ ، فماتتْ على
حجر الوقت مخنوقةً بالدمار

تحسّستُ رأسي .. تأكّدتُ أنّي
ما زلتُ حيًّا ..!

رأيت كهوفاً يضيء دهاليزها
زهر النار
كان دمي قطرةً تتوقّد في رَحِم اللَّيْلِ
تشعلُ غابة هذا الوجودِ

أرى ورق الدهشة الآن يَحْتَضِرُ
في الياس ، ويُسْقِطُ خَلْفِي من عبروا

جسدي لامتزاج السماء بذات
السماء يئنُّ.. يَضْجُ..
يَصيحُ..
وينشَطِرُ

لم أكن آيةً للفراغ ولا لغةً

لاكمال النشيد ،

أنا لستُ أُختَصِرُ

ألتقي بي و أتركني

حجراً

نابتاً في سقوف المعابد..

هل يَنْبُتُ الحُجْرُ ؟

في الرؤيا..

عندما أمسك الماء
تجهش بي الكائناتُ
أحاولُ أن أتمدّدَ
تأخذي لحظة
في المطرُ

لا يقينَ يَقيني
سحابٌ يمرُّ
على جسدي
في المساء فلا أتمدّدُ
قال القمرُ:

غادرتني الطفولة
حين تقمّصتُ أسطورةً
وتخلّيتُ عني لأجل البشر

من رمادي أعود
إليكم
وفي حوزتي
قطرة من حليب
الحجر

من لم يَأْتِ ، لم يذهبْ!..!

تلك الأشجار الثلجية تبدو

نفس

الأشجار الثلجية

ترشح أوراق العمر كأنَّ

اللحظة نفس اللحظة

لم يتعثَّر ذاك الماشي

أو لم يتقدَّم.. !

هذا الواقف يقفز في

ذات البقعة

" كم أنت جبان ! "

.. يصرخ فيه العصر

تراتيل المدن الليلية تقترح

الليل على هيأتها الرثّة ،

تصهلُ فرس الأضدادِ

من النهر المتجمد في الروح المتعبة

وتشهق رئة الرّيح

لعلّ مساءً يأتي يحمل في سترته

ما يُشعل رغبتها في الموت..

خديجٌ هو هذا الزمن المَعْتَمُ
نجرح ذاكرة الجثث المفقودة
كيما نبصر أنفسنا !
أرضٌ مثقلةٌ بالأشراك .. قبائلُ
تأتي من جهة الصحراء وتكشف عورتها للبحر
وتغرق في أسئلة الموجاتِ
أراهم يحتملون خياماً وخوازيق
يمدّون حبالاً للأفق
ويَتَفَضُّونَ

أصبح بهم:

يكفي .. يكفي

يرتبون قليلا، حين تراودهم عاصفة في المرفأ

تصرخ شمس الهجرّة : أن لا ضوء ...!

فتُصلَبُ أزمنة - تخرج من ملح التاريخ- على خشب

الآتي

الواقف لا يتحركُ

ما زال يحدّق في بوصلةٍ

فقدتْ إبرتها..!

مرآة الكائن

(1)

مخلوقاتٌ تتزاحم في المرآة ، تصيرُ الأشياء ظلال الأشياء

ظلامٌ يهَجِسُ للطفل المائل في كرسيِّ العتمةِ :

ماذا لو غَلَفَ صوتك هذا العالم ؟

هل يملك صوتك أن يجرح منحنيات الحدس

و يركض في أفق يمتدُّ .. و يمتدُّ .. و يمتدُّ ..؟

شموعٌ يشعلها الكائن ذو الأطراف اللامرئية في ليل

المخلوقات، أرى شبهي - منهمكاً في الرقصة -

جسداً مأخوذاً بالموسيقى .. وجهاً مرسوماً بالظلّ

فها أنا ذا أرقص/ها أنا ذا أنظرُ لي

(2)

تخرج زنبقة من رَحِم المرأة وتومئ لي فأظنّ الإمامة :
طعنة سيفٍ / لسعة أفعى / حيرة ضالّ

تخبرني الزنبقة الخارجة من المرأة

بأنّي :

ولّد يذهب في النسيان بعيداً

حيث العودة محض

خيال

أُطْفِئْ أَيَّامِي وَ أَحَدِّقْ فِي تَمَثَالٍ
لَا يَعْرِفَنِي

فِي تَمَثَالٍ أَذْنَاهُ مِنَ الرَّيْشِ
وَعَيْنَاهُ مِنَ الْفَضَّةِ وَيَدَاهُ شَبَاكُ اللَّيْلِ
أَحَدِّقْ فِيهِ/ يَحَدِّقُ فِيَّ
وَلَا يَتَحَدَّثُ !

يُنْعِبُنِي صَمْتُ التَّمَثَالِ

مقاطع ليلية للذئب المشنوق !..

I

سوف أُخرجني حجراً أسوداً من تواريجهم ،
فمكاني هنا وهناك ، أنا آخري ، أشبه الريح ،
لي لغة عنكبوتٌ ، سؤالي الطريق إلى جسدي
ما العبور على جثة الماء ؟
رأسي ثقيلٌ ،

أنا ليس لي في دم الوقت ما أشتهيه
دمي يتفصّد حين الطّحُ هذا المساء بخيبات
من رحلوا..!

كرةٌ ، غابةٌ ، نُهرٌ أحمرٌ ، هو هذا الوجود
معي شجر الموت يدفعني للخلاص فأترككم
قبل أن يشنق الذئب في داخلي .

ها هو المطر الآن يغسل نبتتهم،
والسوادُّ المبلَّلُ يحرثُ صحراءه بالمجاز،
جذورك أيتها الأرض تنكرك الآن
أمسكها قبل أن يفتح الفجر لي شارعاً في المهبِّ،
أشدَّ انتمائي على صخرةٍ
لا تلامسها موجةٌ تائهةً.

(يكمل الليل دورتهُ الدمويةَّ فيَّ وينتفض الطائرُ
الذهبيُّ على كتفي

تتجمد نار الكنايات في فضّتي بينما يشعل الآن
ثلجتهُم.. أنني حارسُ الخزفِ

لم أراقص تماثيلهم - ليلة الأمس - لم تختلط في
دمائي دماهم، ولم أخفِ

كنت في مقفل الأحجياتِ أفتّشُ عن آخرِ ضائع
آخرٍ بعدُ لم يقفِ)

II

كانتِ الأوجه المستحّمة في الطمي
تبدو مرصعةً بالرصاص وكانت سقوفهم الحجرية
توشك أن تستحيل غباراً ، تشبّثتُ بالغيمة المعدنية ،
بالشمس فانتحرتُ كائناتُ الظلام القديمة في طينتي .
دخلتُ ساحة القوم تلك المليكة *
ذات الجناحين حاملةً تاجها للجموع ، ومكتظةً بالدموع لقد
كان صوت الطبول يغلفُ ذاك المساء ، ركضتُ بقلبي فوق
الرماح وغادرتُ أدغالهم
حاملاً آخري بيدي

* يحكى أن المليكة عندما دخلت عليهم لهجت باسمها الجموع بينما فاجأهم
المليكة ببكاءٍ حارٍ مما جعل لحم خديها يتفلع ولم يعر بكائها أي أحد منهم فنالهم
السخط !

(هكذا ينتهي كلّ شيءٍ وابتلع البحر أمواجهُ
لن أفكر بالشطّ أو بالغرق
قلتُ: ليس المكان مكاني ، أمامي وراءٌ بعيدُ
ويتبعني عالمٌ من ورقٍ
سوف أطلق أسئلتِي للصباح الذي لن يجيء
وأشهدكم رعشة اللحظة المفترق)

III

بعدما حطّم الموج قاربِي الخشبيّ صرختُ بوجهي
الذي شقّقته المسافة ، كان نهاري احتمالاً
بأن تصهل الآن أحصنة البحر في جوفي الخزيّ

مضى زمن المسّخ

أيتها الأبدية.. من سوف يمنحني لثغة الطين ؟

أو يطلق الرّهج الصامت الآن فيّ

لأرحل عن عالم عائم في الفراغ ؟

لماذا يموت الذي لم يمت ؟

ولماذا تفر الحياة من المستحيل ؟

أنا كل هذا الخراب الذي لا يسمى وكلّ الذي

قد تجمّد في رئة كلّما مسّها البرق من جهة

في الخريطة مزّقها قطعة..قطعتين.. ثلاثاً

أنا غول هذي الأقاصي التي صدّئت

و أنا مدنّ تتعارك فيها القرايين

ربما كنتُ أبدو اندلاعاً شديداً لليل التوجُّس
منجذباً بين تفاحة الرغبة الآدمية والواقعيِّ المريرِ
ومتّشحاً بثلوج الكآبة .. مكتنزاً كل هذا الأثيرِ

(خائفاً كنت من كل شيء ..

من الجبلِ المتشبّث بالأرض،

من صيحة العربيِّ الأخير .. ومن بلدي

كان وجهي انعكاساً لوجهي الكثير

وكنت جموعاً بلا أحدٍ)

IV

ما الذي يصرخ الآن في ؟

تلمستُ هذي الرؤوس التي سقطتُ

في العراء ،

متى يرجع الميِّتون من الموت ؟

ها قد مضى الآن ما قد مضى

وأتى الآن ما قد مضى

الجلود التي انسلخت في الطريق

والدماء التي اهدرت في الطريق

كلها بقيت في الطريق !!

أيها القمر المتدحرج من غصّةٍ في حلوق الضحايا
نقشْتُ عليك تصاوير مَنْ قاتلوك ومن قتلوك !
استوتْ رقصة القتالين وآهاتهم
لم يعد في جحيم الحكاية ما يُستعادُ
تكسّرت الصورة الحجرية في الأفق المتردّد ،
والبجعُ/ الطائرُ/ الراقصُ/ المتمدّد .. حط على الأرض
(كيف لي أن أفسر هذي الحياة و أن أمثّل
للنشيد القديم ؟ وأصرخ في عُرفِ الكلمات القتيلة :
ها قد مشى دمنا في التراب ولم نغتسل
بالشموس التي سقطتْ في الفراغ ولم نكتمل
لم يكن لازما كل هذا الضياع لئلا نصِل)

* ما كان بين الأفواس على لسان الذئب

سردياتُ جسدٍ في الغياب

"عين الطائر ترى جرح الفراشة
لكن وحدها الفراشة ترى جرح الشاعر"

أحمد الزراعي

اختلاجات الهيكل
في حضرة (هنري ميشو)

البحر خلف الشجرة
.. يقول الكاهن: لا تذهب
إِنَّ شمساً ستسقط من شرفتها !

هناك .. جهةٌ نافرةٌ /
ما جهاتُ الجسد..؟

تمثالٌ يصْرُخُ لفرط ما تفصّدت عروقه
ألمحه الآن في آخر الليل يهذي كجنيٍّ
ممسوس ، عيناه تنزّان دمعاً أسوداً
ويداهُ معلقتان في الهواء..

الصاعقة تلك الأنثى التي
تطل عليه من خلف جبل جليديّ
لا تكفُ...

ألمحهُ مرتجفاً ، يقول الكاهن:
أجنحة العتمة لا تحجب عنه البرد !
الطبيعة تنفجر في وجهه !

هناك جهة نافرة /
ما جهاتُ الجسد..؟

كان مضرباً بالدم الأزرق
نوافذ قلبه لم تكن مشرعةً للموج العابت
كان ممتلئاً بالغياب

ضائعاً كباحت عن ظله

واقفاً كماء متجمد

حائراً كنجم في مدار خاطئ

مرهقاً كعائد من حرب

.....

.....

.....

و تعيساً كفحٍّ أبديٍّ للحياة

ألمحهُ .. يقول الكاهن : كان يصرخ:

(هناك جهة نافرة/

ما جهات الجسد...؟)

سأحلم كموجة .. سأنام كطفل

كفرت بنفسي

أنا المؤمن

لا قاع لي

إني عميقٌ

كثقب في الفراغ

أيها الساقطون

لن تصلوا

.. أقول لقلبي

وأمضي في اجتراح الذاكرة

سمائي قريبة مني كغصن

تسقط نجمة بالغت في النضج

تختل الجاذبية

أصرخ بالمحيطات:

تماسكي

سأوقظ الجبال النائمة

تماسكي ريثما

أكمل رسم الدائرة

كفرتُ بنفسي

كنت أظن الحلم مُلكي

أهدم/ أبني.. ما أشاءُ

أرحل حين أعود .. أعود حين أرحل

أصعدُ .. أهبطُ / أهبطُ أصعدُ/ أنا الفضاءُ

كنت أظن الحلم

ملكي

كنت أفسّر :

تجاعيد الماء بالشيوخوخة

المطر بعرق الغيوم

الرعد بـ (أوركسترا) الملائكة

الحلم بالحقيقة

الوجود بالعدم

الشعر بإيقاع القبلة الحائرة

...أَتَّسِعُ الْآنَ

لَا أَدْرِكُ أَطْرَافِي

تَتَكَاثَرُ فِيَّ الْمَجْرَاثُ

أَنَا الْمَسْرُوحُ

لِرَقْصَةِ الْكَوَاكِبِ الدَّائِرَةِ

لَا أُرِيدُ أَنْ

أُسْتَيْقِظَ

يَعْجِبُنِي هَذَا السَّرِيرُ الْكُوْنِيّ

لَنْ أَفْسِدَ نَوْمِي

سَأَحْلُمُ كَمَوْجَةٍ هَادِرَةٍ

المنحنى

واثقينِ بالحلم نحمل أقصى
ما تقترحه الريح علينا
نمضي إلى حافة المعنى ولا نلوح بأيدينا لكم...!
جشتان من الأمل بلا أملٍ
تسيران لعل تذكّاراً أخيراً يصطفئها

لم نتخذ نجماً دليلاً...!
كدنا نضيع في غابة الموتى
لولا قلبنا النبيّ.. تمنا ،
وانتحرت حمامة في الجنوب
لكننا نمضي لعل الدرب
لا ينتهي

في هجاء المسافة.. في هجاء الأرض

كشبحين لا نفكر بما مضى من أعمارنا تأخذنا هذه الأرض
إلى تخومها البعيدة، إلى تواريخ من الملح ، نرتدي عُرينا في
ليل السفر الطويل ولا نسأل من تقمص الآخر ..!
كل دربٍ غوايةٌ

كل حقيقة كذبة

لا شيء إلا ركامٌ من خشب السفن القديمة ، أشباهُ نيازك
ترمّدت، و قبابٌ من الجليد تستلقي على ظهرها كأن الذي
حدث لم يحدث، نشرع الصدور للنصال، ونبالغ في بياض
السريرة، نسَمّي السماء فرصة أخرى ولا نفرد الأجنحة !

نحسُّ في الغيابة بالعلوّ، نمضي إلى مفترق الجهات معنا
مزاميرنا وأسمال أسلافنا ، ومجازُ كلّما بذرناه للريح فاجأنا
بمدائح الموتى

القواقع لا تبوح بأشجانها، لها ذاكرة من الصّدْفِ ، ربما ركلتها
موجة مجنونة فاحتضنها ساحل يائس، أيُّ حزنٍ تحبّوه القواقع ؟

ثمّة ما يشغل البركان عن الثوران، ربما لأنّ الوعول على مقربة
من الفوهة ابتلع أوجاعه، ثمّة ما يشبه العماء لا نرى ولا تُرى
نتحسّس الذاكرة- دليلنا إلى المقبرة -ولا نؤجل الطريق .

نارٌ تلتهم هذا الغياب..

هذا السرابُ الحائل بيننا يشبه:

تلغثم المسافة /أجراس التذكّر/تجاعيد البحيرة/وعكة فصلٍ
ضائعٍ/دوائر وجعٍ لا نهائيٍ/تنفّس العذراء لأنوثتها / تردّد
القوس/اندلاع الموجة/انكسار الصوت/انهيار الحلم
..ويشبهنا.

لسنا وحدنا.. ثمة ما يتشكّل في البعيد، ما يجعلنا نجرح
عاج التهيؤ بمعدن النسيان، فنسرف في
هجاء المسافة.. نسرف في هجاء الأرض .

مديح الحيّ

الآن و بعد عشرين ميتةً

أتأكد منّي

أخلع الكفن، أتماثلُ

للولادة من جديد

الآن وبعد عشرين ميتةً

أعود لكم نازعاً القناع

مهترئ الروح ونجمي

آيلٌ للسقوط

سؤال

ماذا سنكتب هذه الليلة ؟

هاكم ما يشبه لون الجنة ؛

وجعٌ بقوة ألف مستحيل

يجبرنا على الكتابة

وشرخٌ في مخيلة المساء

.. كيف نبتدئ السهرة..؟!!

كل الذين اجتمعوا هذه الليلة

أمسكوا اللحظة من خالصتها

والتمسوا لأنفسهم أعذاراً ، وهمهموا:

الدهشة أول حرفٍ / ارتعاشة الأخيلة

يدُ تمتدُّ من البعيد ، من أنقاض فكرة
لم تزل رهن شاعرها
هاكم حبراً يشبه الغراب
أعدّوا الألواح ..
لوحاً
لوحاً
واكتبوا :
ماذا سنكتب هذه الليلة؟

غريزةُ الصقر.. عادةُ العصفور

تحملك اللحظة كنهر لا نهائي

أنت الذي توهمت الخروج عن الزمن

تتحسس جسدك ببطء كمن يكشف صحراء

- هنا صخرة ما نبتت !

- هذا بئر على شكل قلب !

- وهنا بقايا شجرة ..!

تنصب لأطرافك فخاخاً

تغويك جمرة الهذيان

فتقترح نشيدا لليل:

(ليلاً أنا.. ليلاً أسهر

ليلاً أفكر.. ليلاً أحلم)

حتى لكأنك المجنون

جناحاك في القرارة

وشيء .. ما يبعث فيك

غريزة الصقر .. عادة العصفور

تحملك اللحظة كنهر لا نهائي

تتلفك حولك حيث الظلام

يلف بجوحه الأبدية ،

حين يسعل ديك الرغبة

تخذلك حواسك

تلقي بك في هوة النسيان

أنت الذي توهمت الخروج عن الزمن
ماذا لو كانت التجربة /خطيئة الحجر ؟
الخطيئة /سماءً بلا أبعاد ؟
الحجر/قدح الملاك ؟

كلما مرّنتَ حدسك على استشعار الرمل
فاجأك الماء بالحياة !
كلما تقمّصتَ دور الثعلب
شيّعوك في جنازة !

أنت الذي توهمت الخروج عن الزمن
لا مسافة لتقيس حرارة الوقت
لا فراغ لتكمل فتنة الكلمات
للإزميل شهوة الهيكل
ولك أنت نحيب الصلصال

عندما الأصدقاء...!

I

محمّلين بعناكبهم السوداء
ينبتق الأصدقاء من ثقب الجدران
يجيئون إلّيّ بعد أن تمكّن الوقت
مني واستفردت بي القصيدة
يجيئون بأيديهم المملّحة بالدم وأصواتهم المجرّحة .
أسمع فحيح الأفاعي من حناجرهم
فلا أشعر ببرودة أيلول،
يجيئون إلّيّ بعد أن تقاسموا الفريسة
أبادلهم الأنخاب بنشوة الذئب
جريحاً وجارحاً

ها هم يترنحون ويلصقون

الكتف بالكتف بينما

تفوح من أجسادهم رائحة العجوة المحترقة

II

عارياً كنت عندما جاءني الأصدقاء

كلما حاولتُ الوقوف لهم

ارتجفت قدماي و حنّ لي الوراء

متزّلاً كنتُ بفروة الليل، والعرشة المنتظرة

موغلاً في لذة الجسد وهو يصغي لوحده

كانت الركبتان تحفران في الصدر دوائر العمر البالي

بينما كانت الأسئلة تنال مني ببرائتها

III

عندما الأصدقاء..

ازدحمت بي حشرات الظلام وانفتح

جرحٌ سخيٌّ في القلب

رأيتني منتصباً في عُرفِ الأسماءِ ، أصرخ في معدن الروح،

رأيتني محارباً و محترَباً، فريسةً ومفترساً،

رأيتني أتهدّج في تابوتي، رأيتني وحيداً

وقد كنتُ وحيداً

وها أنذا وحيدٌ بلا أصدقاء

وحيدٌ.. وحيدٌ !!

أسرى الرّيح

عائدون من النار
بسواعدهم النحاسية
جيوبهم ملاء بأحلامهم المستحيلة
لغتهم حائرة ، وشموعهم لا تشتعل !
يحملون أسمائهم كما يحملون أجسادهم
تتعشقهم هذه الأرض كما لو أنهم الغمام
سمائهم خائفة ، وبرقهم متوتّر
لكأنهم أسرى الريح
يلمحهم الماشي فيظنهم
الوعول هاربة من الجبل
عائدون من النار/عائدون إلى النار

مرثية لجسد الحب

من أين يجيء الحبُّ .. وكيف؟
وأين يمرُّ ؟ وما سنقولُ إذا عاد
إلى نفسه ؟

حبلٌ لا شكلَ له .. لا لونَ له
يلتفُّ عليه فيشنقُ غدهُ في
أمسه

الهروب من الجسد

- من ماذا خُلِقَ الحبُّ ؟

... يسألها !

فُشَّجِيهٌ بخفة الملاك :

- منِّي ومنك

* لم يكن يعرفُ الولد الذي ركض ومازال يركض

إلى الآن بأنَّه سيتهجَّى كلَّ شيءٍ بعصا الحبِّ

* لم تكن تعرفُ الفتاة التي اعتادت الوقوف أمام

المرآة بأنَّ الحبَّ يعني التفاتتها صوبَ الباب

* لم يكن يتوقَّع الولد بأنه كلما ابتعد عن جسدها

سينفخ جمرة الحبِّ إلى أن تحرقه

* لم تكن تتوقَّع الفتاة بأن المطر سيخبرها بأن جسدها هو

منتهى الحب

* لم يكن الولد راهباً يفكّر بحياته الأخرى

* لم تكن الفتاة قديسة نسيَتْ حياتها

* كان الولد عاشقاً !

* وكانت الفتاة عاشقةً !

الفتاة إذ كانت..

غَمَسْتُ قَدَمِيهَا فِي نَهْرِ التَّارِيخِ
إِذْ كَانَ يَسْنِدُ ظَهْرَهَا سَلَمَ حَجْرِي
كَانَ الْمَاءُ أَحْمَرَ فِي النَّهْرِ
وَكَانَتِ الْفَتَاةُ خَضِرَاءَ .. خَضِرَاءَ
كَانَتِ كَائِنَاتِ النَّهْرِ تَقْطَعُ انْسِجَامَهَا
كَلَّمَا رَأَتْ الْغَزْلَانَ نَافِرَةً
مِنْ غَابَةِ الْجَسَدِ إِلَى لَيْلِ الضَّبَاعِ
تَحَسَّسْتُ نَهْدِيهَا فَتَمَدَّدَتِ الْعَتَمَةُ !
أَيَّ نَارٍ اقْتَرَحْتُ لِهَذَا الظَّلَامِ السَّرْمَدِيِّ ؟

برداً يفنّد احتمالات الحياة ؟
أم وجعاً يشبه السقوط من أعلاها ؟
ها هي الآن تتخلّى عن اسمها
وتنتخب لنفسها ضياعاً آخر !
ضياعاً ينقد موتاهما من كوابيسهم
رافعين اللهب الأزرق .. ألمهم
يتدفقون من أطرافها كما لو أنهم السيل
يجرفون ماضيهم ويمضغون مستقبلاً لا يجيء
والفتاة .. أنثى الجبل / أنثى البحر
تغرق في الماء

جسڈ...!

وكأنما نسيته ذاكرة الأيائل
عندما ابتلعت مراياك النديّة حزنها الثلجيّ ،
ماذا كان يمكن أن تسمّي نخلك المقطوع غير الحلم
مرمياً على الطرقات ؟

هل كان النزيف سيغسل الجسد
الذي غادرته مذ كان فيك الحب طفلاً
لا يفكر بالمسافة ، واحتمالات الضياع ؟
نداؤك المشبوق يشعل

شهوة الريح العقيمة
لانتحارات مؤجلة يؤرّخها الفراش

ها أنتِ - منذ الأمس - عوسجةٌ

تجرُّ ضريحها في الرمل،

ما فتئتِ يدَاكِ تشد هذي الروح

من أقصى ظفائرها وتفتح بابها

المشروخ للرجبات

من أنتِ ؟ شيءٌ خفيٌّ واضحٌ دمتُ ؟

أم أنتِ .. أغنية يهذي بها العدم ؟

من أنتِ ؟ يسألني قلبي، وأسأله :

من التي وجهها في الرّيح مرتسمٌ ؟

جذعٌ كما لو أنّه التاريخ تحمله

العناصر للسلالةِ

في احتدام النار

أجهل ما يُؤجّجه الوداعُ..!

أصبح .. لا جبلٌ يرُدُّ لي الصدى

أبكي.. ولا زهرٌ يبُلِّله الندى

من أنتِ ؟

يا امرأةً رأيتُ جناحها الحجريّ مشتعلا، رأيتُ ردائها الورديّ

منكشفا، رأيتُ التّجمة الصّفراء في أعماق حيرتها ، رأيتُ توالدُ

الأضداد في جنباتها.. ورأيتها

- شتاءٌ جائعٌ ويدانِ تحتضنانِ آخري
- المكّوم قرب نافذة الحياة - بشوقها العالي ،
مساءً غارقٌ في الليلكِ العشقي
حتى ركبتيه

أنشهقُ إن تمادى نرجس الأحلام
في إخفاء رغبتنا وعلّقنا بجبل الوقتِ ؟
عند اليأسِ يسلمُنا جحيماً فادخُ للحبِّ
ياخذُنا إليه

وقفتُ لم أقترِب منها، وكان معي

بحرٌ أغالبُهُ والموج يُصطفقُ

كان احتمالاً سفيني .. كان أسئلةً

بيضاء ، يكتبها في صمته الأفقُ

كنّا نخبئُ حسرة في الثلج لا نهب البياض

مساحة ليكرر الموتى حضورهم الأنيق بهيئة أخرى

كتبنا ملح تاريخ النهاية و ابتدأنا من سحاب

عابرٍ كالوقت ، كدنا ندفن الأسلاف في شرفاتهم

ونشيعُ الباقيين في أجسادنا بالحبِّ ،

هل وقتٌ سيحفظ ما تسرّب بيننا ؟
نمشي على خيط التوجّس
بيننا عدمٌ يباعد.. بيننا
دوري بنا يا أرض.. دوري
قد تؤجلنا المسافة ريثما نتبادل
الأدوار .. علّ حقيقةً تختار في أنساغنا

التباسُ في النشيد...!

عندما قلتُ :

إني سوف أحاول أن أملأ القدح

انكسرتُ جرة الليل في جسدي

واختنقتُ بموتٍ تحمّلي للحياة ،

بكيت كطفلٍ صغيرٍ وصحتُ:

أحبُّك !!

لم يكن في الظلام سواي لأجرح موتك

في فرصة بين قبر .. وقبر وأحمل جرحك نحو

الحياة، ولم أستطع أن أخبئ أجنحتي في السحاب،

مضى وقتنا.. ها هي الأرض تمسك لحظتنا

الذهبية إذ تتلبّسنا رعشة الأسئلة

ما الذي بيننا الآن؟؟

بحرٌ عميق من الكلمات ؟

نشيدٌ أناشيد ؟ أم رغبةٌ في اقتناص النوارس

قبل النهار ؟

السؤال شقيق السؤال / رفيق سذاجتنا / طائرٌ

يخرج الآن من جدثٍ موغلٍ في القَدَم

آخرٌ لا نراه يطلُّ علينا.. فنشهق طعم العدم

ها أنا الآن أصبح في نهرٍ من دموعك

ألمحني خائفاً من ضياع رهيب،

سيأخذنا مستحيلك - أيتها المرأة/الفضة/
الذهب/ الأم/الوطن/السفر/الحلم/ الموجه/
الراحة/ التعب - الآن للريح ،نحمل زهرتنا
في يدين من النار و النار.. نلقي بها في الندم
كلنا سوف يكسر فزاعة الطير حين يفتش
عن موعد أخضر في السماء

أشجار الرغبة..!

ماذا سأكتب للفراشة حين يأخذني الظلام

إلى الظلام ؟

خريطة اللغة الجريحة داخلي ضاعت ،

وضوء الحب أقصى ما يكون

هو اليقين الشك .. لون مسافة تعبي ،

يدٌ ملوئيةٌ خلف النهار .. ولا أحد

هذا البياض يحاصرُ الجهة الأخيرة ،

ربما سقطت ثلوج الفقد قبل شتائنا

ذكرى تحرض ما استدار من الكلام العاطفي ،

الآن تطعني الحروف الراجفات هنا ،

أنا جسدٌ يفتّش عن جسد

تتداخل الكلمات في الكلمات
حين تصير نرجسُ الحنين كتابةً للنارِ ،
ماءٌ غارقاً في النارِ ،
جرحاً نازفاً في النارِ ،
نسياناً لنعشِ اليأسِ أو
موتاً تجاهله الأبدُ

زمني تجمّد والمسافة بين حنجرتي
وبيني غيمةٌ سوداء ،
يكفي أن نُعلّق نورسا في الريح كي
نتلمّس الفارّين من عنق الزجاجة
أو نقرب ما ابتعدَ

إنّا كتاب البحر نقرأونا على الشطآن

موجاً راكضاً خلف الرمال

ولحظةً بيضاء أنهكها

الزبدُ

مُروا على أشجار رغبتنا سنرجع

قبل أن يقف المكان على المكان

وقبل أن يتبادل

العشاق طعم القبله الحمراء

أو تقف البلاد

بلا بلد

ورقة...!

أعلن الآن أنني لست أبالي بأي

الجراح التي سوف

تنكؤها

جسدي دفتراً أبيضاً لا انتهاء له

والحروف التي كُتبت في الخنائه غير

تلك الحروف التي كنتَ

تقرأها

انتهى شجر الحب فيّ ولم ينتبه ورقي

انتهت غابتي في الحريق الكبير

وناري..ناري

تطفؤها